من لوح يولد عليها كان مرتكساً في ضلالة وأصحاب التناسخ يفسرون هذا تفسيراً آخر قالوا الحيوان منتصب ومنحن فالمنتصب الإنسان والمنحني هو ما كان منكوساً رأسه إلى جهة الأرض كالبهائم والسباع قالوا فإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم قالوا فأصحاب الشقاوة تنتقل أنفسهم عند الموت إلى الحيوان المنكوس وأصحاب السعادة تنتقل أنفسهم إلى الحيوان المنتصب ولما كان معوية عنده عليه السلام من أهل الشقاوة سماه منكوساً ومركوساً رمزاً إلى هذا المعنى قوله حتى تخرج المدرة من حب الحصيد أي حتى يطهر الدين وأهله منه وذلك لأن الزراع يجتهدون في إخراج المدر والحجر والشوك والعوسج ونحو ذلك من الزرع كي لا تفسد منابته فيفسد الحب الذي يخرج منه فشبه معوية بالمدر ونحوه من مفسدات الحب وشبه الدين بالحب الذي هو ثمرة الزرع

الأصل

ومن هذا الكتاب وهو آخره إليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك وأفلت من حبائلك واجتنبت الذهاب في مداحضك أين القوم الذين غررتهم بمداعبك أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك ها هم رهائن القبور ومضامين اللحود والله لو كنت شخصاً مرئياً وقالباً حسياً لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأماني وأمم ألقيتهم في المهاوي وملوك أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم موارد البلاء إذ لا ورد ولا صدر هيهات من وطئ دحضك زلق ومن ركب لججك غرق ومن ازور عن حبالك وفق والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه ه

الشرح

إليك عني أي ابعدي وحبلك على غاربك كناية من كنايات الطلاق أي اذهبي حيث شئت لأن الناقة إذا ألقي حبلها على غاربها فقد فسح لها أن ترعى حيث شاءت وترد ما شاءت لأنه إنما يردها زمامها وإذا ألقي على غاربها فقد أهملت والغارب ما بين السنام والعنق والمداحض المزالق وقيل إن في النسخة التي بخط الرضي غررتهم بالياء وكذلك فتنتهم وألقيتهم وأسلمتهم وأوردتهم والأحسن حذف الياء وإذا كانت الرواية وردت بها فهي من إشباع الكسرة كقوله ه

ألم يأتيك والأنباء تنمي ه بما لاقت لبون بني زياد ه

وقوله ومضامين اللحود أي الذين تضمنتهم وفي الحديث نهى عن بيع المضامين والملاقيح وهي ما في أصلاب الفحول وبطون الإناث ثم قال لو كنت أيتها الدنيا إنساناً محسوساً كالواحد من البشر لأقمت عليك الحد لما فعلت بالناس ثم شرح أفعالها فقال منهم من غررته ومنهم من ألقيته في مهاوي الضلال والكفر ومنهم من أتلفته وأهلكته ثم قال من وطئ دحضك زلق والدحض مكان دحض أي مزلة ثم قال لا يبالي من سلم منك إن ضاق به مناخه لا يبالي بالفقر ولا بالمرض ولا بالحبوس والسجون وغير ذلك من أنواع المحن لأن هذا كله حقير لا اعتداد به في جنب السلامة من فتنة الدنيا قال والدنيا عند من قد سلم منك كيوم قرب انقضاؤه وفناؤه

الأصل

اعزبي عني فوالله لا أذل لك فتستذليني ولا أسلس لك فتقوديني وايم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص

إذا

إذا قدرت عليه مطعوماً وتقنع بالملح مأدوماً ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل علي من زاده فيهجع قرت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها وعركت بجنبها بؤسها وهجرت في الليل غمضها حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم فاتق الله يابن حنيف ولتكفف أقراصك ليكون من النار خلاصك ه

الشرح

اعزبي أي ابعدي يقال عزب الرجل بالفتح أي بعد ولا أسلس لك بفتح اللام أي لا انقاد لك سلس الرجل بالكسر يسلس فهو بين السلس أي سهل القيادة ثم حلف واستثنى بالمشيئة أدباً كما أدب الله تعالى رسوله لأروضن نفسي أي لأدربنها بالجوع والجوع هو أصل الرياضة عند الحكماء وأرباب الطريقة قال حتى أهش إلى القرص أي إلى الرغيف وأقنع من الإدام بالملح ونضب معينها فني ماؤها أي لأبكين على نفسه قال أتشبع السائمة من رعيها بكسر الراء وهو الكلأ والربيضة جماعة من الغنم أو البقر تربض في أماكنها هذا أيضاً مثلها أتشبع وأنام لقد قرت عيني إذاً إذا أشبهت البهائم بعد الجهاد والسبق والعبادة والعلم والجد في السنين المتطاولة قوله وعركت بجنبها بؤسها أي صبرت على بؤسها والمشقة التي ينالها يقال قد عرك فلان بجنبه الأذى أي أغضى عنه وصبر عليه قوله افترشت أرضها أي لم يكن لها فراش إلا الأرض وتوسدت كفها أي لم يكن لها وسادة إلا الكف قوله وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم لفظ الكتاب العزيز تتجافى جنوبهم عن المضاجع وهمهمت تحركت بكلام خفي وتقشعت ذنوبهم زالت وذهبت كما يتقشع السحاب قوله ولتكفف أقراصك إنما هو نهي لابن حنيف أن يكف عن الأقراص وإن كان اللفظ يقتضي أن تكف الأقراص عن ابن حنيف ونظيره ما رواه قوم قالوا فاتق الله يابن حنيف ولتكفف أقراصك ليكون من النار خلاصك والتاء هنا للأمر عوض الياء وهي لغة لا بأس بها وقد قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فبذلك فلتفرحوا بالتاء

آخر الجزء السادس عشر

من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

الجزء السابع عشر

الأصل

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

أما بعد فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأثيم وأسد به لهاة الثغر المخوف فاستعن بالله على ما أهمك واخلط الشدة بضغث من اللين وارفق ما كان الرفق أرفق واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك إلا الشدة واخفض

Copyright © King Saud University